الدروس المستفادة من شخصية يُوسف علَيه السلَام
"كما صوّرتـها سورة يوسف"

د . حسن محمّد با جودة

(رئيس قسم اللغة العربية ووكيل كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة)

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين ، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين ، سيّدنا محمّد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فهذه المحاضرة بِعُنوان : "الدّروس المستفادة من شخصيّة يوسف عليه السّلام ، كما صوّرتها سورة يوسف" قد ألقيت في الموسم الثّقافي لرابطة العالم الإسلاميّ ، للعام ١٣٩٢هـ . وهذه الدّراسة هي زُبْدَةُ الدّراسة الموسّعة في هذا المجال في كتابي : الوحدة الموضوعيّة في سورة يوسف عليه السّلام .

واللهَ تعالى أسأل أن ينفع بهذا العمل ، ويتقبّله ، ويثيب عليه ، إنّه جوادٌ كريم .

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد ، وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله ربّ العالمين .

كتبه الفقير إلى عفو ربّه

د. حسن محمّد باجودة

رئيس قسم اللّغة العربيّة ، ووكيل كلّية

الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

بمكّة المكرّمة

الدروس المستفادة من شخصية يوسف عليه السلام كما صورتها سورة يوسف كثيرة جداً . ونحن سنحاول باذنه تعالى عن طريق السير مع هذه الشخصية المباركة الطيبة في مراحل حياتها المختلفة أن نقف عند الدروس المهمّة التي تلقيها علينا هذه الشخصية . أو تكون سببا في إلقائها . وإنّه لجميل بنا أن نعرف أن شخصية يوسف، مع أنها من أصغر الشخصيات الكثيرة سنًّا ، إلاّ أنّها تكاد تعتبر المحرّك الأوّل لكلّ شخصيات المجتمعين الشَّاميّ والمصريّ في سورة يوسف . وقد تبيّن لنا بدراسة هذه الشخصية أن حياتها يمكن أن تنقسم إلى ثلاث مراحل :-

الأولى : مرحلة الغلام المحبوب من والده ذي النّفس الصّافية المشرقة ، وتنتهي بوضع اخوته العشرة لأبيه له في غَيابَةِ الجُبّ .

الثانية : مرحلة اختبار الله تعالى له بالابتلاء . وهذه المرحلة تنقسم إلى قسمين الأول: في بيت عزيز مصر. والقسم الثاني : في السجن الذي زُجَّ به فيه ظلماً .

الثالثة : مرحلة اختبار الله تعالى له بالنَّعْماء ، بتعيين ملك مصر له في منصب عزيز مصر الذي كان آنذاك شاغرا ، حَتَّى اجتماع شمل آل يعقوب به في مصر وتعبير رؤياه .

فإلى المرحلة الأولى مع : يوسف عليه السلام الغلام المحبوب من والده ذي النَّفس الصّافية المشرقة :

قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٥) قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧) ﴾ . **إنّ الجو الذي يدور فيه الحوار بين يوسف ويعقوب وُدِّيٌّ للغاية ، كيف لا ونحن بصدد نبيّ الله يعقوب الذي لا نكاد نعرف أبا نظيرا له في حبّ أبنائه ، فكيف به وهو يخاطب أحبّ أبنائه إليه قاطبة، والذي تَوَسَّم فيه الخير كل الخير . إنّ الغلام يوسف يُضَمِّنُ حديثه قوله﴿ يَا أَبتِ ﴾ الذي كان بإمكانه أن يستغني عنه لو شاء ، ولكنّ الوُدّ والجوّ الرُّوحِيّ لم يكونا ليسمحا بذلك ، وإنّ الشّيء نفسه يقال عن قول يعقوب ﴿ يَا بُنَيَّ ﴾ فإن الأب الحنون ليتقدّم ابنه في هذا المضمار إذ يجيء بالابن في صيغة تصغير التّمليح الذي له دور ، بالإضافة إلى غيره من الشواهد ، على أنّ يوسف غلام صغير السِّنِّ حَقّاً . وواضح أن يوسف يَقُصُّ على والده ما رأى في المنام وليس في اليَقَظَة بطبيعة الحال ، خاصّة**

وقد جاء على لسان يعقوب خطابا له ﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ **﴾ ومع أن قَصَّ يوسف للرؤية موجز إلا أنه القمة في البلاغة وفي الدلالة على أَنَّنا بِصَدَد نفسٍ الغاية في الصّفاء والإشراق الروحي . إنّنا إزاء : " إنّ " الّتى تفيد وهذا دليل على تأكد يوسف الغلام الصغير من صحّة ما يقول عن رؤياه ودِقَّته . وتأمّل الفعل رَأَي من قوله ﴿** إِنِّي رَأَيْتُ **﴾ الذي جاء في صيغة الماضي هذه المرة فقط ، بينما جاء الفعل ثلاث مرات في صيغة المضارع "أَرَى" في مناسبتين آخريين مماثلتين حينما قصّ الساقي والخباز رؤياهما ، وحينما قصّ ملك مصر رؤياه . فيما يتعلق بالساقي والخباز قال عزّ من قائل ﴿** وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ **﴾ وفيما يتعلق برؤيا الملك قال عزّ من قائل ﴿** وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ **﴾ وإنّا لنتساءل لماذا انفرد يوسف بصيغة الفعل الماضي "رأى" في قصّ رؤياه؟ والجواب على ذلك في اعتقادي والله أعلم هو أن الغلام الصغير يوسف ذا النفس البريئة الصافية المشرقة يريد أن يَقُصَّ في براءة الرؤيا التي رأى في المنام ، دون أن يكون منه بطبعه شيء من اهتمام لما تدل عليه ويترتب**

عليها. لقد كان هَمُّهُ أن يقص رؤياه على والده وأن ينتهي بقصها كل شيء يتعلّق بها . أما فيما يتصل بالساقي والخباز والملك فإن الأمر يختلف . إنّهم بحكم السِّنّ والتجربة مهيئون بطبعهم للتّمثُّل الدائم للرّؤيا ، حريصون على تعبيرها وما تؤول إليه . لهذا جاء الفعل "أرى" في صيغة المضارع مَرّاتٍ ثلاثا وليس الفعل "رأى" بصيغة الماضي الذي انفرد باستعماله الغلام البرئ يوسف . والله أعلم .

وفوق ذلك نحن نتبين هذا الإشراق الرّوحيّ والصّفاء النّفسيّ في موضعين آخرين من هذه الآية :

الأوّل : من قول يوسف ﴿ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ لقد حدّد العدد بهذا الرقم وما أسهل مثلا تذكُّرَه وذِكْرَهُ للشّمس والقمر باعتبار أنهما مفردان من نوعين مختلفين ، ولكن ما أصعب أن يكون عدد الكواكب مرتفعا ، وما أصعب تحديد العدد بأنه أحد عشر وليس أكثر بواحد مثلا ولا أقل بواحد . إنّما كان الرّقم موافقا لعدد إخوة يوسف وفيهم شقيقه بنيامين .

إننا في الحقيقة بصدد نفس بلغت الغاية التي ليس وراءها غاية في الصّفاء والطّهر والنّقاء . ومن هنا تسنّى أن تُعَدَّ الكواكب الساجدة واحدةً واحدةً وأَتَتْ في النهاية بالرقم على وجه الدقة .

والموضع الثاني من الآية الذي تَبَيَّنَ فيه هذه الصفة هو القول على لسانه" ﴿ لِي سَاجِدِينَ ﴾ إنّ هذا الغلام حينما يتبيّن أنّ الشّمس والقمر والأحد عشر كوكبا ساجدة له سجود العقلاء ، فهذا دليل على أنّ الشّمس والقمر والكواكب كانت من يوسف بالذات في موضع مُعَيَّن جعله يوقن أنه هو المقصود بالسجود . ولا شك أن هذا اليقين من الأدلّة على أنّنا بصدد نفس مشرقة وروح صافية . وسبحان القادر على كل شيء الذي جمع ليوسف في رؤياه الشمس والقمر من ناحية ، والشمس والكواكب من ناحية أخرى . إن السياق ليفهم أن القمر كان في ليلة البدر ، والمعروف أنه حينما يكون كذلك لا يجتمع مع الشّمس مطلقاً . وإنّما سمى البدر بدراً لأنه ليلة النصف يبادر الشمس الطلوع بمعنى أنه يحاول أن يسبقها قبل غروبها . وإن الآية في اجتماع الشمس والكواكب أقرب تناولا وأشد وضوحا . فالمعروف أن الشمس حينما تَطْلُع لا يبقى في السماء كوكب واحد ، وقديمًا قال النابغة :

فإنَّكَ شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طَلَعَتْ لم يبد منهن كوكبُ

لقد كان كل ذلك بإذنه تعالى ممكنا وسهلا وميسورا .

ونحن حينما نَتَبَيَّنُ في سورة يوسف عَلاقَةً بين رؤيا كل من الساقي والخباز والملك ، وبين الواقع المحسوس ، فالسّاقي يرى

نفسه يعصر خمرا . وللخمر عَلاقة بعملهِ ، والخبّاز يرى نفسه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه ، وللخبز عَلاقة بعمله ، والملك يرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ، ولذلك كله عَلاقة بأرض مصر الزراعية التى يحكمها ، فإن في إمكاننا أيضا أن نتبين مثل هذه العلاقة في رؤيا يوسف . فبالإضافة إلى أنّها تدلّ على أنّنا بصدد نفس يوسف الصّافية المشرقة فإنها تعكس الصّفاء الغالب على سماء تلك المنطقة التي عاش فيها يوسف آنذاك ورأى فيها رؤياه . ومع أنّ يوسف غلام صغير السّنّ حَقّاً ويقصّ هذه الرّؤيا العجيبة على والده نبي الله "يعقوب" فإنّ هذا الوالد يأخذ هذه الرؤيا قضية مسلَّمة ، ويستنتج منها استنتاجات بعيدة الغور عميقة المغزي، ويَبْنِي عليها أحكاماً ، وذلك بعد أن ينهي ابنه عن قصّ هذه الرّؤيا على إخوته ، خوف حسدهم له بِكَيْدٍ من الشيطان ، وهذا في ذاته دليل على اقتناع يعقوب بان رؤيا ابنه حَقّ . ومعروف أن رؤيا المؤمن جزء من أربعين ، وفي رواية جزء من ستة وأربعين جزءاً من النُّبُوّة . جاء عن يعقوب عليه السلام : قوله تعالى ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ

عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

والآن نحن نتساءل :علام يدل موقف يعقوب نبيّ الله من ابنه الحبيب يوسف؟ والجواب على ذلك هو أنّ نبيّ الله تعالى يعقوب قبل أن يقصّ يوسف عليه رؤياه ، كان يتوسّم في هذا الابن الخير كلّ الخير . وليس هناك من درجة يتمناها لابنه الحبيب أعلى من درجة النّبوّة ، خاصّةً وأنّه لم يتبين أي شيء من الدلائل على ذلك في واحد من أبنائه العشرة الذين يَكْبُرُونَ يوسف ، أو شقيق يوسف أصغر الأبناء بعد يوسف . وحينما قَصَّ يوسف رؤياه على والده كان ذلك الإثبات الذي طال انتظار يعقوب له، فلم يكن ذلك غريباً على يعقوب ولا مفاجئاً له ، وهو الذي ينظر بنور الله عز وجل . بل كان دليلا على أنّ يوسف آخذ طريقه إلى درجة النبوة التي اصطفى الله تعالى بها يعقوب نفسه .

ونحن لا نشكّ أنّ نصيحة يعقوب لِيُوسف بعدم قصّ رؤياه على إخوته قد لعبت دورها البعيد المدى في نفس يوسف ، ولا نشكّ أنّ نفسه البريئة الطّاهرة ، وقد أوضح له والده البارّ بأبنائه جميعاً ، الدّور الذي يمكن أن يقوم به الشيطان عليه لعنة الله في الإفساد بين الإخوة ، كانت تجاه إخوتها هي النّفس البريئة الطّيبة

الطّاهرة ، فلم يُرِدْ يعقوب عليه السلام سوى الخير لكل أبنائه وفيهم يوسف بطبيعة الحال . ونحن نعتقد أنّ هذه هي المرّة الأولى وهي المرّة الأخيرة أيضاً التي نهى فيها يعقوب يوسف عن إخبار إخوته بشيء يخصّه .

ونحن نعتقد أيضا أن يعقوب عليه السلام كان يعمل جاهدا على الغرس في قلوب الأبناء محبة بعضهم لبعض . وليس هناك شيء يسوء الأب ، وبخاصة إذا كان يعقوب الحليم الحكيم نبيّ الله ، كما يسوؤه عدم الوفاق بين أبنائه . وإنّ السبب الذي من أجله نصح يعقوب ابنه بعدم قص رؤياه على إخوته هو خوفه على أبنائه جميعا ، فقد خاف على الإخوة لو عرفوا برؤيا يوسف التي تدل على أنه سيكون له شأن ديني ودنيوي معا ، أن يشقوا العمر بأكمله بسبب تورّطهم بحقّه في شيء يسوؤه ، كما خاف على يوسف أحب أبنائه إليه أن يكون غرضًا لهم . وهكذا فمصدر نصيحة يعقوب الحب لأبنائه جميعا . ولا يتعارض ذلك مع حقيقة كون الله تعالى قد وضع في قلبه مما ليس له يد فيه ولا طاقة له على دفعه من المحبة ليوسف وشقيقه ما ليس لإخوتهما. وإنّا لنستطيع أن نفهم أنّ يعقوب عليه السلام كان الغاية في العدل بين أبنائه فيما يملك . أو ليس هو الذي خَشِيَ على أبنائه الحسد

حينما طلب منهم في رحلتهم الثّانية إلى مصر ألاّ يدخلوا المدينة من باب واحد وإنّما من أبواب متفرّقة . بَلَى . ونحن إذا نظرنا إلى الحبّ من زاويتنا فإنا نجده طبيعيا ، فقد جرت العادة بأن يستأثر صغار الأبناء ، خاصّةً حينما يكون الأبوان متقدمين في السن ، بأكثر الحبّ ، لأنّهم أكثر حاجة إليه . فيكف إذا ثبتت بِفراستهما أو بفِراسة أحدهما أنّ هذا الصغير أو ذلك له من المنزلة الدّينية ما ليس لأحد من إخوته . وما الذي ينتظر من نبيّ الله يعقوب وقد أيقن أن ابنه الحبيب يوسف قد اصطفاه الله تعالى بخيري الدنيا والآخرة . مما لا شك أن ذلك يزيده حبًّا له على حبّ ، وشغفًا على شغف ، واشفاقًا له كل الحقّ فيه على إشفاق

وإنّ المسألة المهمّة التي نودّ التَّنْوِيه بها من الحوار بين يوسف وأبيه هو أنّ الكلام الذي صدر من يعقوب في حقّ ابنه يوسف قد رفع من شأن هذا الابن عاليا حتى لنكاد نشعر بأن منزلة الغلام يوسف ليست بعيدة من منزلة نبيّ الله يعقوب . وبالتّالي فإن يعقوب ويوسف يشكّلان منزلة ليست لواحد من أبناء يعقوب الأحد عشر الذين أشارت إليهم الرّؤيا . والحقيقة أنّ هذه ليست المرّة الوحيدة التي يلوح فيها يوسف ويعقوب من منزلة واحدة ، بل إننا كلّما تقدّمنا في القصّة أخذت هذه الحقيقة تتبلور

. حتّى إذا كانت رحلة الاخوة الثالثة إلى مصر وتمَّ تعرُّف الإخوة على حقيقة شخصيّة يوسف ، وأَمْرُهُمْ أن يذهبوا بقميصه ويلقوه على وجه أبيه كي يرتدّ بصيرا فإنّه يتَّضح لنا وقتها حينما تفصل العير من مصر ويجد يعقوب فيها ريح يوسف ، أنّ يوسف ويعقوب من درجة عالية رفيعة واحدة . تلك الدرجة التي كدنا نفهمها بل فهمناها بالفعل من المشهد الأول في القصّة . وفرق بين المشهدين أنّ يوسف في أوّلهما نبيّ بالقُوَّة وفي ثانيهما نبيّ بالفِعْل .

ويبدو يوسف بعد ذلك الغلام الصّغير البرىء في المشاهد التّالية حتّى شراء عزيز مصر له . إنّا لا نجد له رأيا تجاه طلب إخوته أخذه معهم كي يرتعوا ويلعبوا على الرّغم من حرص يعقوب على عدم تلبية طلبهم أوّلا ، وعلى الرّغم من قبوله الطلب بعد ذلك على مَضَض . بل لعلّ يوسف كان حريصاً على أن تتمّ موافقة يعقوب كي يستمتع للمرّة الأولى مع إخوته بالفسحة واللّعب . ولعلّه أيضا كان ينتظر تلك اللّيلة طلوع فجر اليوم التّالي على أحرّ من الجمر . ولعلّ طول ليله لم يكن بأقل من طول ليلهم . ولعلّه لم يشعر بقرار إخوته إلا بعد أن وجد نفسه في غيابة الجبّ ، وقد تركه الإخوة فيه ، بعد إيهامه مثلا بأنّ عليه أن ينزل

الجب كي يملأ لهم ماء . وواضح أنّ الذي نُفِّذَ بحقّ يوسف هو رأى واحد من الإخوة ، نرجّح أنه كبيرهم بعد رفضه الرّأيين السابقين المتعلّقين بقتل يوسف أو طرحه أرضا مهلكة احتمال نجاته منها ضعيف . قال تعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ . إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ . اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ . قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ .

وإنّ المسألة المهمّة التي نودّ أن ننبّه إليها هي أن إخوة يوسف الّذين قرّروا التّخلّص من يوسف لا يبدون شَرًّا خالصاً ، وما كان ينبغي لواحد من أبناء يعقوب نبيّ الله في اللّحظة التي لا يكون فيها الشيطان غائباً أن يكون شَرّاً خالِصًا . وإليك بيان ذلك. إن الاخ الكبير صاحب الرأي بإلقاء يوسف في غيابة الجبّ يُعْتَبَرُ الأخ الذي وضع الله تعالى في قلبه القدر الضّروري من الودّ ليوسف ، وقد بدا ذلك جليّاً في رفضه التامّ فكرة قتل يوسف . ويلاحظ أنه نَزَّلَ فكرة طرحه أرضا منزلة القتل المباشر فلم يَخُصَّها بالحديث بل اكتفى بالقول : ﴿ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِين ﴾ **كما يلاحظ أن هذا الأخ**

نفسه هو أوّل الاخوة شعورا بالنّدم العميق على تفريط إخوته في يوسف بعد استخراج يوسف من رحل شقيقه صاع الملك . قال الله تعالى : ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ **وسنشير إلى هذه المسألة بشيء من التفصيل مستقبلا إن شاء الله تعالى . فإذا تحوّلنا إلى الإخوة التسعة أصحاب الرّأيين الأوّلين فإنّه يتّضح لنا أنهم في الوقت الذي يفكّرون فيه في التّخلّص من يوسف وقبل التّنفيذ هم يفكّرون في عودتهم مستقبلا ، بعد التّخلّص من يوسف قوما صالحين . وكيف يتمّ ذلك ؟ بعد توبة نصوح . ألم يأت على لسانهم قوله تعالى :** ﴿ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ **وهذه الإشارة خير مهيئ لأنفسنا لتوقع عودة الإخوة آخر القصة قوما صالحين فعلا، ودخولهم مرة ثانية في الأَرُومَةِ الطيبة التي سبق أن انشقوا عليها . لا ليس ذلك فحسب . بل إن هناك سببا آخر وجيها في الدّلالة على أن ما اقترحه الإخوة للتّخلّص من يوسف كانت نزوة طائشة طارئة ما لبثت أن خبت سريعا . وفي سبيل تبيّن ذلك لنتأمل الضمائر التي استعملها الإخوة العشرة في هذه الآية** ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي

ضَـلاَلٍ مُّبِـينٍ ﴾ **إنّ ضـمائر المتكلّمـين متّصـلة ومنفصـلة هـي الـتي تسـيطر علـى جـوّ الآيـة . ويلاحـظ أنّ الإخـوة اسـتعملوا ضـمائر المتكلمين هنا لأن المسألة لا تعدو التعبير الانفعالي الحانق . والآن لنتأمـل الضـمائر الـتي اسـتعملها في الآيـة التاليـة تسـعة منهم قـال تعالى:** ﴿ اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ **ما هذا ؟ إنّ ضمائر المتكلّمين تختفي . نعم إنها تختفي كي تحل محلها ضمائر المخاطَبين . إنّ الإخوة لا يقولون مثلا :لنقتل يوسف أو لنطرحه أرضا يخل لنا وجه أبينا ، إلى آخر ما قيل . فما معنى هذا ؟ معنى هذا أن الّذين يقترحون القتل يكتفون بمجرد الاقتراح ويريدون من الفئة الأخرى التنفيذ. والذين يقترحون طرحـه أرضـا يكتفـون أيضـا بمجـرد الاقـتراح ويريـدون مـن الفئـة الأخرى التنفيذ . هؤلاء يقولون لأولئك وأولئك يقولون لهؤلاء ﴿** يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ **هؤلاء لا يريدون من أولئك أن يتورّطوا في قتل يوسف ، ولعلّهم رفضوا ذلك فعلا ، على الرّغم من ذكر السّبب الموجب لذلك** ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ **والإشـارة الصّـريحة إلى باب التّوبـة المفتـوح دائمـاً** ﴿ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ **وأولئك يريدون من هؤلاء أن يتورّطوا في طرح يوسف أرضا بعيدة مَخُوفَة ولعلهم رفضوا ذلك كما رفض إخوتهم .**

وإنّ من أ قوى الأدلّة على أنّ هؤلاء الإخوة ليسوا شَرّاً محضا هو أنهم تنازلوا سريعا وبمنتهى اليُسْر إلى رأى القائل بجعل يوسف في غيابة الجبّ كي يلتقطه بعض السّيّارة . وإن المسألة المهمّة الأخرى التي نودّ التّنبيه عليها هي أنّ عناية الله تعالى ورحمته كانتا دائماً مع العبد المصطفى يوسف . قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ وقد يقول قائل وكيف أجمع الإخوة وفيهم كبيرهم الذي في قلبه الكمية القليلة من الودّ ليوسف على جعله في غيابة الجب . وهنا نتذكّر قول الشّاعر عمر بن أبي ربيعة[1] :

وخِلٍّ كنتُ عَيْنَ النُّصحِ منه ... إذا نَظَرَتْ ومستمعاً مطيعاً[2]
أطاف بِغَيَّةٍ فنهيت عنها ... وقلت له أرى أمرا شنيعا
أردت رَشاده جهدي فلمّا ... أَبَى وعَصَى أتيناها جميعا

---

(١) ديوان عمر بن أبي ربيعة ٢٤٨ بيروت ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .
(٢) في رواية : ومستمعاً سميعاً .

وظلّت رحمة الله تكلأ يوسف حتى وصل بأمان الله إلى بيت عزيز مصر وهنا يجيء قوله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ **لقد أراد الأخوة الشّرّ ليوسف ، وأراد الله تعالى الغالب على أمره له الخير كلّ الخير . ولا يخفى أن هذا القول** ﴿ وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ **تسلية غير مباشرة في هذه السورة المكية لمحمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم .. والآن حان الانتقال إلى :-**

المرحلة الثانية في حياة يوسف عليه السلام

مرحلة اختبار الله تعالى له بالابتلاء

فإلى القسم الأول في بيت عزيز مصر :-

معروف أنّ سنّ يوسف حينما اشتراه عزيز مصر كانت في حدود الرابعة عشرة يقلّ عنها ولا يتخطّاها بحال ، وأنّ العزيز طلب من امرأته أن تكرم مثوى الغلام عسى في المستقبل أن ينفعهما أو يَتَّخذاه ولدا . وفي ذلك البيت بلغ يوسف مبلغ الرجال . قال تعالى ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ إنّ الله عزّ وجلّ آتى يوسف حكما وهو النظرة الصائبة للأمور والتقدير الصحيح للمواقف ، وعلمًا لَدُنِّيًا ، وفي هذه السورة الكثير من مظاهر ذلك العلم جزاء إحسانه . إنّنا بصدد شهادة من القرآن الكريم بأنّ يوسف في المرحلة الخطرة من السّنّ التي يخشى فيها الانحراف والزّلل كان مثال الشابّ المحسن ، فآتاه الله جزاء إحسانه حكما وعلما . وقد فُسِّر الإحسان في هذه السورة على لسان يوسف خطابا لإخوته في قوله تعالى ﴿** إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ **﴾ وهذا درس بليغ نافع يلقيه يوسف عليه السلام على شباب الإسلام في كلِّ زمان ومكان ، وإنّه لينبغي أن ننوّه بأمرين ، الأوّل : هو أنّ يوسف عليه السلام قد آتاه الله عز وجل شطر الحسن ، فكان أجمل من القمر ليلة**

البدر ، الثاني : هو أنّ المجتمع الذي فيه يوسف الآن مجتمع أقل ما يقال فيه إنّه مجتمع غير دينيّ، بالإضافة إلى أنّه في بيت رجل ينتمي إلى ما يدعى بالطّبقة الرّاقية المتحرّرة .

فإذا تحوّلنا إلى اختبار الله تعالى عبده يوسف مع امرأة العزيز ، وصرف الله تعالى عنه السوء والفحشاء ، تبيّن أنّنا في حاجة إلى أن نتلو معاً بعض الآيات ، بقصد تبيين ما يحتاج إلى تبيين ، وأخذ الدّروس النّافعة التي يلقيها علينا دائماً يوسف عليه السلام العبد الصالح . قال تعالى : وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ . وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ . وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ . وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ . فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ . يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾

وحينما نتساءل عن أوّل الأسباب التي جعلت هذه المرأة تظنّ أنّ في مقدورها أن تنال من الفتى ما تريد وتقوم به معه ، فإنّ

من أول الأسباب اختلاط الجنسين . ومعروف أن الإسلام عالج هذه المسألة علاجاً حكيما ممتازاً . وأَكْتَفِي في هذا الصدد بتلاوة بعض الآيات في هذه المسألة . قال تعالى في سورة النور[1] : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩) قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٣١) ﴾

---

(١) سورة النّور ٢٧– ٣١ .

وقال تعالى[1] : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ (٥٨) مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ

الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاء (٥٩) ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٢) وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٦٣) ﴾

وقال تعالى في سورة الأحزاب[٢] : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلوةَ وَآتِينَ الزَّكوةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٤) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا(٣٥) ﴾ **وقال تعالى[٣] : ﴿** يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ .

فإذا عدنا إلى الآيات التي تشير إلى محنة يوسف عليه السلام فإنّه

---

(١) سورة النّور ٥٨– ٦٠ .

(٢) سورة الأحزاب ٣٢– ٣٤ .

(٣) سورة الأحزاب ٥٩ .

يتّضح أننا بحاجة إلى تأمّل قوله تعالى : ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ

إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ . وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾

إنّ الفعل راود يدلّ على المجهود البعيد المدى الذي بذلته هذه المرأة في سبيل غايتها التي ما كان لها أن تتحقّق أبدا . ونستطيع أن نفهم أن هذه المراودة ليوسف في ذلك البيت في ذلك المجتمع غير صحيح العقيدة، كانت من امرأة العزيز ومن سواها ، ولكنّ محنته مع امرأة العزيز هي الكبرى . وكان موقف يوسف عليه السلام واحداً هو مراقبة الله تعالى في السّرّ والجهر . وقبل أن نتعمّق في هذا الموضوع علينا أن نشير إلى فضل الله تعالى على عبده يوسف قبل أن يبتليه بهذه المحن المختلفة . إنّ فضل الله تعالى يبدو جليّا في أنّ الإخوة لم يتخلصوا من يوسف إلا بعد أن وصل إلى سِنٍّ مُعَيَّنَة كان قد ارتوت نفسه فيها من التّعاليم الإسلاميّة عن طريق والده نبيّ الله يعقوب . وكي يتّضح فضل الله العظيم على يوسف لنتصور أنّ الإخوة قرّروا التّخلّص منه في سِنٍّ تتقدّم هذه السِّنّ في الوقت الذي لم ترتو نفسه بعد من هذه التعاليم ، أو قرّروا التّخلّص منه وهو الذي لم يُقَدَّرْ له أن يَقْضِيَ حياته في بيت يطبّق أهله تعاليم الإسلام ، لا شكّ أنّ النّتيجة ستكون غير هذه النتيجة . والحقيقة أن يعقوب عليه السلام يلقى

علينا نحن المسلمين درسا في وجوب تنشئة أبنائنا منذ نعومة أظفارهم تنشئة إسلاميّة ، وأن نسلّحهم بسلاح الإيمان الذي لا يزداد مع مرور الأيام بإذنه تعالى إلاّ مَضاءً . فإذا عدنا إلى ما صادفه يوسف في البيت الذي هو الآن فيه وجدنا الآية تقول ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا **﴾ فلم يكن ليوسف أهل ولا بيت سوى هذا البيت الذي اضطرّ للبقاء فيه وهو الشابّ المملوك .**

وإنّا لنستطيع أن نقول هنا بكل اطمئنان: إنّ الله تعالى كان مع عبده المُبْتَلَى يوسف ، وقبل أن يبتليه بمحنته الكبرى مع امرأة العزيز قد دبّره وأعانه ، إذ اكتسب يوسف الشابّ الصالح والذي أشربت روحه في بيت والده عقيدة التوحيد بسبب تطبيقه لتعاليم الشريعة الإبراهيمية اكتسب دُرْبَةً ومِرانا بسبب صبره وتقواه الدائمين من امرأة العزيز وسواها قبل محنته الكبرى . حتى إذا جاء دور امرأة العزيز كان عنده عليه الصلاة والسلام بعون الله تعالى من المناعة ، وهو المرشّح للنّبوّة القدر الكافي لأنه يفرّ بدينه سالما نقيّا . وبهذه المناسبة نحن نودّ الوقوف مليًّا عند قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ **﴾ وهناك بعض النقاط التي نودّ تبيينها بهذا الخصوص :-**

أوّلا – ليس بخافٍ موقف امرأة العزيز المريب من يوسف، وليس بخاف موقف يوسف الخالي من كل شائبة .

ثانيا – لإحسان يوسف الدائم فقد كان الله تعالى معه في كل لحظة من لحظات حياته ، وبخاصّة في أوقات الشِّدّة . فحينما أجمع الإخوة أمرهم أوحى الله تعالى إليه لَيُنَبِّئَنَّهُمْ بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ، وحينما بلغت المحنة ذروتها مع امرأة العزيز أراه الله تعالى برهانه . وحينما اتّهمته الزوجة أمام زوجها كان القميص قد قُدَّ من دبره وقيّض الله له الشّاهد الّذي قضى ببراءته، وحينما قدّر الله له ساعة دخوله السجن قَدّر له ساعة الخروج منه بإدخاله الفتيين معه السجنِ رجْلاً بِرِجْل . ومعروف أن أحدهما سبب في خروجه منه إذ عبّر يوسف له رؤيا الملك .

ثالثا– لقد نعت الله تعالى عبده يوسف بأنّه من المحسنين، وبأنّه من عباده المخلَصين . وإنّا لنستطيع أن نقول باختصار : إنّ رحمة الله تعالى كانت في هذه المحنة مع يوسف عليه السلام ، بينما كانت امرأة العزيز منساقة وراء الهوى موكولة إليه ..

وبعد هذه المقدّمة الموجزة ننتقل إلى تأمّل هاتين الجزئيتين معًا ، لأن هناك نوعا من عَلاقة بينهما. قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ وواضح أنّ الجزئية الأولى القصيرة

خاصّةٌ بامرأة العزيز ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ وأنّ الجزئيّة الثّانية التي تميل إلى الطول خاصّةٌ بيوسف عليه السلام . فما الّذي يلمحه المتأمّل لهاتين الجزئيتين ؟ إنّ أوّل ما يلاحظ هو أنّ الجزئيّة الخاصّة بامرأة العزيز تتضمّن اللّام التي تُفِيدُ التوكيد : "وقد" الّتي تفيد التحقيق "لقد" بينما لا يوجد شيء من ذلك في الجزئيّة الخاصة بيوسف عليه السلام . فلنتأمّل الجزئيّة الثّانية مَعاً ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ فَعلامَ يدلّ هذا ؟ هذا يدلّ على أنّ هَمَّ يوسف عليه السلام لا يمكن أن يكون من نوع هَمِّ امرأة العزيز . وحاشا لِلّهِ أن يكون ليوسف المحسن عبد الله المُخْلَص المرشّح للنّبوّة أيّ نوع من علاقةٍ بهذه المرأة المنساقة وراء الهوى ..

وما دام قد اتّضح أن هناك نوعين مختلفين من الهمّ ، وما دمنا عرفنا أنّ حرف العطف الواو في مثل هذه الحال ، يرفع بطبعه الهمّ الثاني قريبا من مستوى الأوّل ، ولم يكن ذلك حَقّاً بحال ، فإنّ أوّل ما نطالب به ونلحّ في الطّلب هو أنّنا أثناء التلاوة ينبغي أن نقف عند نهاية الجزئية الأولى الخاصّة بامرأة العزيز ثم نستأنف التّلاوة . وبالتالي تكون التّلاوة في هذه الصورة ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ . وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ وإنّ هناك لجمالا موسيقيّاً داخليًّا

نكسبه من هذه الصورة من التلاوة ، وذلك من الباء والهاء الساكنة في الموضعين ، إضافةً إلى إحقاق الحقّ المعنويّ

ثم ماذا يلمح المتأمّل للجزئيّتين من فرق ؟ إنّه لَيَلْمَحُ أنّ الجزئيّة الأولى الخاصّة بامرأة العزيز تقف عند الهمّ ولا تتخطاه، بينما يتبيّن أن الجزئيّة الثّانية الخاصّة بيوسف تتضمّن هذه الزيادة ﴿ لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ فما معنى هذا؟ معنى هذا أنّ رحمة الله تعالى دائما مع العبد المبتلى يوسف ، وأنّه في اللّحظة التي همّت فيها امرأة العزيز عمليًّا كان برهان الله عزّ وجلّ ، ذلك البرهان الّذي لا نعرفه على وجه التّحديد ، والذي نستطيع أن نقول عنه إنّه أثر من آثار رحمة الله بيوسف ، يراه يوسف عليه السلام أمامه رأي العين ، وأنّ هذا البرهان من الله تعالى كان في اللّحظة التي كان فيها الهمّ عمليًّا من امرأة العزيز ، وكاد يكون من يوسف المرشّح للنّبوّة ، لهول الموقف ، ردّ فعل عنده ممثل في صورة هَمٍّ نَفْسِيّ . وأنّ الذي حال دون هذا الهَمِّ النَّفْسِيّ منه برهانُ الله تعالى الّذي قضى على هذا الهَمِّ النَّفْسِيّ قبل أن يكون . وكأَنَّ المعنى : وكاد يكون منه هَمٌّ نَفْسِيٌّ لولا أنّ برهان ربّه حال دون ذلك .

وإنّ الّذي جعل السّياق يجيء في هذه الصورة ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ **﴾ هو أنَّ هذا السّياق أفهم أنَّ ليوسف فضلا له دوره في الوصول إلى النّهاية الحميدة لا يكاد يقلّ عن البرهان الّذي رآه .**

لقد كان يُبْغِضُ كلّ ما تقوم به هذه المرأة . وثبت بذلك أنه خليق بأن يرزقه الله تعالى من حيث لا يحتسب ، وأن يجعل له من أمره يسرا .

والآن لنعد إلى تأمّل الجزئيّتين معا ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ . وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ **﴾ وبما أنّ برهان الله قد قضى على الهَمِّ النّفْسِيّ ليوسف ، عليه السلام ، وبما أنّ الجزئيّة الأولى الخاصّة بامرأة العزيز تُتْلى منفردة ، فإنّ الجزئية الخاصّة بيوسف ينبغي أن تُتْلَى بِشِقِّيْها مَعًا ، وتكون تلاوة الجزئيّتين بالتّالي في هذه الصورة ﴿** وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ . وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ **﴾ والله أعلم .**

وهكذا صرف الله تعالى عن يوسف السّوء والفحشاء لأنه من عباده المخلَصين .

والحقيقة أنّ سورة يوسف عن طريق قَصِّ محنة يوسف مع امرأة العزيز ، وصرف الله تعالى عنه السّوء والفحشاء ، تنتهي إلى الغاية نفسها التي انتهت إليها الآيات المتعدّدة من القرآن الكريم في

النّهي عن ارتكاب جريمة الزنا . ولكنّ سورة يوسف تصل إلى هذه الغاية في مجرًى فريدٍ لها . إنّها تُقُصُّ علينا المحنة التي مرّ بها الشّاب الصالح يوسف مع امرأة العزيز ، واستعاذة هذا الشابِّ غير المتزوّج ، بالله تعالى ، مِمّا تدعوه إليه هذه المرأة، ومراقبته لله تعالى في تلك الخلوة التي فُرِضَتْ عليه فَرْضًا ، وإنقاذ الله تعالى في النهاية لهذا العبد الصالح ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[1] ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [2] وإنّه لنعم الدرس الذي يلقيه علينا الشابّ الصّالح يوسف الذي كان آنذاك مملوكا وغير متزوّج . إنّه لأسوة حسنة لكل شاب مسلم في كل زمان ومكان وإنّ انقاذ الله تعالى لعبده المبتلى يوسف لدليل من أقوى الأدلة على أنّه تعالى لا يتخلّى مطلقاً عن عباده الصالحين ، وأنّه لا يكون منه تعالى دائماً إلاّ الخير . ما أجمل

---

(١) سورة الطّلاق ٢ و ٣ .

(٢) سورة الطّلاق ٤ .

الدَّرْسَ الذي يلقيه علينا نحن المسلمين نبي الله يوسف ، وما أَحْلَى وَقْعَهُ على كلِّ نفس مؤمنة مطمئنّة . ولو أنّ كلّ شاب مسلم اتّخذ يوسف الشابّ المسلم لله ربّ العالمين مثالاً يُحْتَذَى لتخلّصت كلّ

مجتمعاتنا الإسلاميّة من هذه الرّذيلة، ولأصبحنا مجتمعات طيبة طاهرة عاطرة . وحينما يَعِفُّ الرّجال تَعِفُّ النّساء.

ومعروف أنّ الرّفض العنيف هو موقف يوسف من امرأة العزيز . وقد تحوّل طلبها أمرا بعد تقطيع النّسوة أيديهنّ ونجاحها في كسب الجولة ، وعذر النّسوة لها بعد لومهنّ السّابق العنيف . وحينما أُرْغِمَ على أن يختار واحداً من الأمرين المُرَّيْن ، أن يفعل ما يؤمر به أو السّجن ، كان السّجن أَحَبَّ إليه مما يدعوه النّسوة إليه . وهنا يستغيث يوسف بربّه ويعلن عن عجزه وأنّ رحمة الله ربه أوسع ، فيستجيب له الذي يجيب المضطر إذا دعاه . قال تعالى :

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ . فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣٢) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ(٣٣)قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (٣٤) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾

وقبل أن نتحوّل إلى القسم الثاني من مرحلة الاختبار بالابتلاء مع يوسف في السّجن نودّ أن نجيب عن سؤال مهمٍّ يُلِحُّ علينا . هذا السؤال هو ما دام يوسف عليه السلام قد بلغ الآن أشدّه وكان الغاية في الصّحّة والقوّة والعلم ، وكان على عِلْمٍ تامٍّ بمكان أبيه وآل يعقوب فهلا فكّر في التّوجّه إلى آل يعقوب ومغادرة مصر؟ والجواب على ذلك : إنّ إرادة الله تعالى لم تشأ ذلك ليوسف . وإنّ لنا على ذلك دليلين :

الأوّل : هو أنّ مصر مكان تعبير رؤيا يوسف عليه السلام وقد تَمَّ ذلك في نهاية القصة كما هو معروف .

الثاني : هو أنّنا نعتقد أن يوسف عليه السلام سواء نال حرّيّته أم لم ينلها، لم يكن يرغب أساساً في مغادرة مصر ، ليس للإكرام الذي خصّه به العزيز ، فإنّ إيذاء زوجته له أكبر ، ولكن لأنّ يوسف عليه السلام صاحب رسالة وحامل أمانة . وحينما يَتَبَيَّن عمّا قريب في السجن أنّ يوسف كان يتحيّن كلّ فرصة للدّعوة إلى دين الله ، فهذا ما فعله مع صاحبيه في السجن . وأنّ المجتمع المصري آنذاك بعامّة في حاجة إلى يوسف كي يكون سببا في إخراجه من الظّلمات إلى النّور ، أكثر من حاجة المجتمع الشّامِيّ حيث يعقوب نبيّ الله وآله ، إذا تبيّن لنا ذلك أدركنا

السَّبَبَ الذي من أجله آثر يوسف التّصدّي للصّعاب ، والصّمود لها حتّى يأذن الله بالفرج ، والبقاء في مصر ابتغاء رضوان الله تعالى على الرّاحة والأهل والأوطان . وإنّ هذا لدرس بليغ آخر يلقيه يوسف عليه السّلام على كلّ حامل أمانة من أمّة الإسلام .

القسم الثاني من المرحلة الثانية في حياة يوسف عليه السلام :

في السّجن .

هذا القسم تمثّله الفترة التي دخل فيها يوسف السّجن ، وقد دخل معه فَتَيان طلبا منه أن يعبّر رؤياهما ، فدعا إلى دين الله، ثم عبّر لكل رؤياه ، وتَحَقّقَ لكلٍّ منهما ما قاله يوسف فَصُلِبَ أحدهما ، وأكلت الطير من رأسه ، وعاد الآخر إلى عمله ساقيا للملك الذي رَأَى هو الآخر رؤيا عَجَزَ أهل الحلّ والعقد عن تعبيرها . وهنا يتدخّل الساقي قائلا ﴿ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ **﴾ ويعبّر يوسف الرؤيا ، ويخلص النّصيحة للقوم ، ويطلبه الملك ، فيصرّ يوسف على أن يُثْبِتَ براءته أولا ، ويتحقّق ذلك بشهادة نسوة المدينة وامرأة العزيز . وهنا يطلبه الملك كي يستخلصه لنفسه فيرشّح نفسه للمنصب الشاغر آنذاك . منصب عزيز مصر وبهذا تنتهي مرحلة اختبار الله تعالى له بالابتلاء .**

ونحن نودّ أن نشير إلى الدّروس المستفادة من هذه الفترة في حياة يوسف عليه السلام فمع هذه الآيات أوّلا . قال تعالى: ﴿

وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّيٓ أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٧) قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن

يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٨) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ (٣٩) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤٠) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (٤١) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤٢) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ(٤٣) ﴾

فإلى تأمّل الآية الأولى قال تعالى : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ **إنّه على الرغم من أنّ يوسف عليه السّلام أمام محنة جديدة ، إلا أنّنا نفهم يقينًا من هذه الآية أنَّ رحمة ربّه ترفرف حوله في أكثرَ من جانب. فمن رحمته أن يدخل معه السّجنِ رجُلاً بِرِجْلٍ فتيان أحدهما سَبَبٌ في خروجه من السّجن كما أشرنا من قبل . ومن رحمته أن يدخل معه السّجن هذان الفتيان بالذّات المماثلان له في السّنّ . والمعروف أنّ الفتى للفتى آلَف، والصغير للصغير آلف، والكبير للكبير آلف**

، وهكـذا . ومـن رحمتـه أن يكـون الفتـيان مـن مَعْـدِنٍ نقـيّ ، لـذا أمكن لهما تبيّن الإحسان في يوسف . ومن رحمته أن يرى كُلٌّ من الفتيين رؤيا ويطلب كـلٌّ منهمـا تعبيرهـا . ولكـن ممّـن؟ مـن يوسـف أعـبر النّـاس للرّؤيا . وإنّ قـدرة يوسـف الفائقـة علـى التّعبير مظهـر مـن مظـاهر رحمتـه تعـالى بهـذا الفـتى المبتلـى .. وقـد بقيـت مسـألة مهمّـة بشـأن هـذه الآيـة ، هـي الـدّرس العظـيم الـذي يلقيـه علينـا معشر المسلمين يوسف عليه السلام . إنّه بتقواه وصبره كان المثل الأعلى لكلّ فرد في السجن. فلم يكن الفتيان إلا رمزا لمن عداهما . وإنّه بِخلقه العظيم وسلوكه المستقيم وتمسّكه بحبل الدين المتين كان قدوة في السّجن وإماما . إنّه لَنِعْمَ الدرس النافع المفيد في كل زمـان ومكـان ، الـذي يلقيـه علينـا مـن منـبر القـرآن يوسـف عليـه السلام . لقد أَثبتت التجربة دائما أن المسلم حينما يكون في غير بـلاد الإسـلام مطبّقاً لتعاليم دينه فإنّه خير سفير للإسلام وخير داعية له . لا فرق في ذلك بين كونه في بلاد متحضّرة أو نامية . إنّ الإنسانيّة عطشى لغذاء الروح وماء الحياة . وما أَغْزَر هذا الماء وما أَعْذَبَهُ في الإسلام ، وما أغنى المسلمين به ، وما أفقرهم هم وسواهم بدونه. وإنّ التّاريخ ليسجّل للمسلمين بمداد من نور هذه

المفخرة الكبرى بمنّ الله وفضله وليس بقدرتهم بالنّسبة لكثير من الأصقاع التي لم يصلها أساسًا مجاهد عسكري واحد .

لقد قُدِّرَلطائفة من المتمسّكين بأهداب الدين من المسلمين أن يضربوا في الأرض طلبا للرزق ، وكانوا بخلقهم العظيم بسبب تطبيقهم لتعاليم الإسلام خير دعاة وخير هداة . وإنّه لخليق بالمسلمين في كل جيل أن يَتَأَسَّوْا بالسّلف الصّالح . وليس بخافٍ أنّ يوسف عليه السلام لم يُعَبِّر الرّؤيا للفتيين مباشرة ، وأنّ السّبب في ذلك يكمن في أنّ ما يعتبره الفتيان غاية وهو تعبير الرؤيا، فإنّه في نظر يوسف عليه السلام وسيلة .. إنّ غاية رسل الله الدعوة لدين الله تعالى وعبادته وحده لاشريك له . وقد استطاع يوسف عليه السلام بتوفيقٍ من الله تعالى أن يجمع في جوابه أحسن ما يكون الجمع بين الغاية والوسيلة . وهذا دَرْسٌ آخر يلقيه علينا يوسف نبيّ الله على أمة الإسلام . إنّ لسان حاله عليه الصلاة والسلام يقول لنا : عليكم أن تقتبلوا كلّ فرصة للدّعوة لعبادة الله وَحْدَهُ وإعزاز دينه الّذي ارتضى . وإنّ ما يجئ على لسان يوسف عليه السّلام خطابا للفتيين ﴿ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ لا يدخل في باب تزكية النّفس المنهيِّ عنه ، وهذا واضح . ولكن من باب شكر المنعم .

وإنّ يوسف عليه السلام ليلوح لنا عبدا شكورا، ويُلْقِي علينا درسًا في طريقه استمالة الآخرين وكسب قلوبهم. وإِنَّ من الوسائل لذلك إظهار العلم الذي تفضّل الله تعالى به على المرء . وإنّ ذلك مذهب محمود يُنْصَحُ به .

ولا يَخْفَى أنّ يوسف عليه السلام يتدرج بالفتيين في أعذب حديث حتى ينتهي إلى دعوتهما إلى دين الله تعالى . وأخيرا يعبّر يوسف الرؤيا للفتيين . ويلاحظ أنّ تعبيره للرُّؤْيا وافق ترتيب الفتيين في الطَّلَب . ويطلب يوسف من الّذى ظنّ أنّه ناج منهما أن يذكره عند رَبّه.وهذا شيءٌ طبيعيٌّ من شخص مظلوم . ولكنَّ الشيطان عليه لعنة الله أنسى الساقي ذكر يوسف عند سيّده الملك ، فلبث في السجن بضع سنين . وهكذا مضت إرادة الله النافذة ، وهكذا تساوي طلب يوسف من الفتى ذكره عند سيّده وعدم طلبه منه ذلك .. وهذا درس آخر بليغ نافع مفاده أنّ الإنسان مهما كان حريصاً على الخير العاجل لنفسه فإنّه لا يحدث إلا الخير الذي قضاه وقدّره أحكم الحاكمين .. وقبل أن ننتقل من هذا الموضوع نودّ أن نقف عند قوله تعالى على لسان يوسف ﴿ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ وإنّا لنقول بهذه المناسبة إنّ هذه أول إشارة في سورة يوسف

إلى أنَّنا أمام نبِيٍّ من أنبياء الله تعالى . فما معنى هذا؟ معنى هذا أنه كلّما اصطفى الله تعالى يوسف بالابتلاء رفع درجته، وكان جزاء ابتلائه بالسّجن اصطفاءه بدرجة النبوة.

أمّا الموضوع الثّاني الّذي نود الوقوف عنده بشأن هذه الفترة في حياة يوسف فهو تأويله لرؤيا الملك قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٤) قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ (٤٥) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٦) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٧) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ(٤٩) **﴾ . إنّ يوسف عليه السلام لا يكتفي بتعبير الرّؤيا ، وإنّما يخلص النّصيحة للقوم، فيرشدهم إلى الطريقة المُثْلَى لخزن المحصول استعدادا لسبع سِنِي الشِّدَّة . ثم يتفضّل عليهم بعلم العام الخامِسَ عَشَر . إنّ يوسف عليه السّلام يجود بكلّ ذلك للّذين سجنوه ظلما ، والذين لا يزالون يسجنونه . وإنّا إزاء هذا الخلق العظيم لا يسعنا ألا أن**

نقول : إنّها النُّبوّة وكفى . وإنّنا بصدد رجل صاحب رسالة وحامل أمانة يعمل جاهدا كي تنجح رسالته وقد وفّقه تعالى وسدّد خُطاه .

وطَلَبَ الملك من يوسف أن يأتيه ، فرفض الخروج أو تثبت براءته . قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ **. وإنَّنا لنقف مشدودين أمام رفض يوسف الخروج من السّجن . ولكن حينما يتّضح السّبب وتثبت براءته أمام الملك بحضور النِّسوة وهو ما زال في السجن، فإنا نَتَبَيَّن أيَّ درس عظيم يلقيه علينا يوسف عليه السلام ، وإنّه واجب على كلّ مسلم أن يدفع قدر الطّاقة التّهم عن نفسه ووجوب ابتعاده عن مواقفها . قال عليه السلام " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التّهم "[1] وجاء عن الملك قوله تعالى** ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

(١) الكشّاف للزّمخشري ١٤١/٢ حلبي ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م .

وبعد ثبوت البراءة يطلب الملك يوسف كي يستخلصه لنفسه . قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا

كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ (٥٥) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ(٥٦) ﴾ **وواضح أنّ يوسف عليه السلام الذي رُدَّتْ له مكانته الحقيقيّة كاملة غير منقوصة ، لا يستأذن الملك في العَوْدَة إلى أبيه وآل يعقوب لماذا؟ لأنّه صاحب رسالة، وحامل أمانة ، ولأنّ حاجة المصريين له أكثر من حاجة الشّاميّين، ولأنّه تلوح في الأفق البعيد جِدًّا مجاعة رهيبة لا تُهَدِّدُ مصر فقط وإنما تُهدّد مصر وما جاورها . ولعلّها تهدّد العالم المعروف آنذاك بأسره . وهنا نجد يوسف عليه السلام لا يرشّح نفسه لمنصب بسيط ، وإنّما لأخطر المناصب على الإطلاق . وإنّ هدف يوسف واضح، هو أن يكسب من منصبه قوّة يستفيد منها في نشر رسالة التّوحيد . ولا شكّ أنّ يوسف قد نجح في ذلك نجاحا باهرا . وقد جمع بتقلّده هذا المنصب قوة مادّيّة إلى قوّته الدِّينيّة . وإنّ يوسف عليه السلام ليلقى علينا نحن المسلمين درسا بليغا بأنَّ صلاح الدُّنيا من صلاح الدّين ، وبِأَنَّ على الحاكم أن يكون الخليفة في أرض الله ، وأن يكون أسوةً حسنةً للمحكومين . ألم يكن يوسف عليه السلام تماما كما وصف نفسه بقوله ﴿** قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾**

كما بقى علينا درسٌ آخر هو أنَّ الواجب عل كلّ ذي منصب من أمّة الإسلام في أيّ مكان أن يستفيد من منصبه أو قوّته الأدبيّة والمادّيّة جُهْدَ الطّاقة لِإعْزازِ دين الله الّذي ارتضى

لعباده . إنّ يوسف عليه السلام يقول باختصار: على المسلم أن يكون في موطن القوّة دائما . وإنّ هذا القول من يوسف موجَّهٌ إلى أمّة الإسلام ككلّ . إنّ عليها أن تكون في موطن القوّة دائما لتبسط العدل وتنشر السلام. قال تعالى : ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ **﴾ نعم ، إن المسلمين هم الأعلون لأن الله تعالى معهم . وإنّ يوسف عليه السّلام لِيُلْقِي علينا درسا آخر في الأمانة . إنّه عليه الصّلاة والسلام ليضرب المثل الأعلى منذ حداثة سنّه حتى توفّاه الله . ألم يكن أمينا على أرض العزيز وأهل مصر وأموالهم ؟ بلى. ألم يكن يتصرف باستمرار في حدود صلاحيات منصب عزيز مصر ؟ بلى ، وقد جاء تعقيبا على هذه المرحلة في حياة يوسف عليه السلام قوله تعالى : ﴿** وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٧) وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ(٥٨) **﴾ إنّ هذا هو جزاء الله تعالى في الدّنيا ليوسف على إحسانه . ولا يقاس ذلك بما ينتظره في الآخرة من نعيم مقيم هو وكل مؤمن . والآنَ إلى :–**

المرحلة الثالثة والأخيرة في حياة يوسف عليه السلام .

مرحلة اختبارالله تعالى له بالنّعماء

بتعيين يوسف عليه السلام في منصب عزيز مصر تبدأ المرحلة الهادئة الرّخاء في حياته عليه الصلاة والسلام . وإنّ هذه الآية عن أخوة يوسف الذين غادروا الشّام إلى مصر طلبا للطعام قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ لتدلّ على أن هناك فترة زمنية تزيد بكل تأكيد عن السبع سنين قد تخطتها الآية الكريمة . هذه الفترة هي سبع سني الرخاء وشيء لا بأس به من سنى الشِّدَّة ، لأنّ الأخوة لن يتجهوا إلى مصر زمن الشِّدَّة إلا بعد أن يذيع في الآفاق كرم عزيز مصر وإمداده لكلّ محتاج بكمّيّة معلومة من الطّعام . وذلك بطبعه يستغرق شيئًا من الزّمن . وإنّ بامكاننا أن نتّخذ إخوة يوسف الّذين قصدوه طلبا للطعام رمزا لكلّ قاصد . وإنّه حينما يكون عنده الاستعداد لإعطاءِ الإخوة كلّ مرّة الكمّيّة المحدّدة من الطّعام ، فمعنى هذا أنّ عنده الاستعداد للقيام بالعملية نفسها مع كلِّ طالب . ومعنى هذا أن مصر أصبحت تُشَدُّ لها الرِّحال من كلِّ النّواحي . وكان يوسف في كل مرّة يلبّي طلب المحتاجين . وكان عليه الصلاة والسلام يعلم يقينًا أنّ الفترة الّتي ستبقى فيها المجاعة متمكِّنة ليست قصيرة ،

وأن طلب الطّعام بمرور الأيام سيشتدّ . ومع ذلك فقد كان مستعدًّا لأن يلبِّيَ كلَّ الطَّلبات. بدليل أنّه أعطى إخوته طعاما في المرحلة الثّانية، ولم يكونوا ليطلبوه في الثّالثة لو لم يعلموا أنه لا زال يُعْطِي. وإنّ النّتيجة التي نودّ أن ننتهي إليها من كل ذلك هي أنَّ يوسف عليه السلام في سبع سنوات الرَّخاء قد بذل كلَّ ما كان بإمكانه أن يبذله في سبيل إنقاذ الإنسانيّة ، وليس الشّعب المصري فقط، من المجاعة الرهيبة التي طبّقت بعد ذلك الآفاق . ومعنى هذا أن سنوات الرَّخاء بالنِّسبة ليوسف عليه السلام كانت عملا دائبا وإخلاصا وتضحية ، ولم تكن وقتًا من أوقات الرّاحة والتّسلية . وإذا كان هذا ما يقال من اهتمام يوسف ساعة الرّخاء فالّذي يقال عن ساعات الشّدّة أكبر . وقد كان عليه السلام يشرف بنفسه على عمليّة توزيع الطّعام، ومن هنا كان الإخوة وسواهم يدخلون عليه ويجدونه أمامهم في كل مرّة. وواضح أن العزيز أكرم إخوته وطلب منهم أن يأتوا بأخ لهم من أبيهم .

لقد استطاع يوسف عليه السلام أن يُفْهِمَ الإخوة بأنّ هذه المعلومات أخذها منهم كي لا يبين أمره . ومع أنه حادثهم مرّات إلا أنّ واحدا منهم لم يستطع تبيّن شخصيّته . وينبغي أن نشير بهذه المناسبة إلى أنّ الإخوة لم يعرفوا من الشّعب المصريّ شيئا عن

حقيقة العزيز لسببين : الأوّل : لأن المصريّين يطلقون على يوسف لقب العزيز إكبارا منهم له ولا يشيرون إليه باسمه . والثّاني لأنّ الإخوة كانوا يتكلّمون لغة غير التي يتكلّم بها المصريون . ومن هنا لن يستطيعوا التّغلغل في أفراد الشّعب المصريّ . وبعد إعطاء يوسف لاخوته الكمِّيَّة من الطّعام طلب منهم إن أرادوا الطّعام مرّة ثانية أن يأتوه بأخ لهم من أبيهم . وقد جمع طلبه لين الجانب والحزم قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّيَ أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٦٠) فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ(٦١) ﴾ .

وإنّا نتساءل : لماذ لم يعرّف يوسف إخوته بحقيقة نفسه ولماذا عاقبهم نفسيّا؟

وتمهيداً لذكر الأسباب نحن ينبغي أن نؤكّد الإشارة إلى أنّ هؤلاء الذين يَكْبُرون يوسف هم الذين وضعوه من قبل في غيابة الجبّ ، وعرّضوا حياته للخطر، وسبّبوا له الكثير من المتاعب النّفسيّة والجسديّة . أمّا هو فلم يكن أمامه إلا أن يعاقبهم نفسيّا . وقد آثر أن يعاقبهم نفسيّا لا أن يعرّفهم بحقيقة نفسه ابتداءً للأسباب التّالية :

أوّلا – إنّ يوسف عليه السلام ، كان يتصرّف بإلهام من الله تعالى وليس عن هوًى شخصيّ . وأكبر دليل على ذلك أنّه عليه الصلاة والسلام حينما وضع السِّقاية في رَحْلِ شقيقه في رِحْلَةِ الإخوة الثّانية إلى مصر ألهمه الله عز وجل أن يجعلَ فتيانه يسألون الإخوة عن نوع الحكم الذي يطبّقونه على السّارق إن صحّ أن الصُّواع وُجِدَ عند واحد منهم. ولو لم يكن السؤال ولو لم يعلن الإخوة تطبيقهم للحدّ في الشّريعة الإبراهيميّة الّذي يقضي باسترقاق السّارق لِعامٍ واحد لما أدّى وضع يوسف الصّواع في رحل شقيقه الغاية المرجوّة ، وإلاّ اضطر إلى تطبيق قانون المصريين الوضعيّ الّذي يقضي بتغريم السّارق ضِعْفَيْ قيمة المسروق لا غير. وليس فيه استرقاق . قال تعالى ﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَآؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ (٧٥) قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٦) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ(٧٧) **﴾**

ثانيا – إن الإخوة لم يشعروا في الرّحلة الأولى جميعا بالنّدم على ما فرّطوا في حقّ أخيهم يوسف . ولا في الرّحلة الثانية، بدليل أنهم بعد أن استخرج الصواع من رحل الشّقيق اتهموا أخاه ،

يريدون يوسف بالسّرقة . قال تعالى : ﴿ قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللّهُ أَعْلَمْ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ **ويُسْتثْنَى كبيرهم الّذي قرّر البقاء في مصر حتّى يأذن له أبوه أو يحكم الله له و هو خير الحاكمين. وذلك بعد رفض يوسف طلبهم بعد هذا الاتّهام أَخْذَ واحد منهم بدلا من الشّقيق الذي يحبّه يعقوب ويتعزّى به عن يوسف . وقد كشف يوسف عن نفسه حينما أيقن أن الإخوة قد شعروا في أعماقهم بالنّدم على تفريطهم في أخيهم يوسف ، وحينما أيقن أنّهم قد عادوا فعلا قوما صالحين، وذلك في الرحلة الثالثة فقط .**

ثالثا – لقد فَهِمَ الإخوة حينما عرّفهم يوسف بنفسه وعَفَا عنهم أخيرا أنّ عفوه الذي جاء في الوقت المناسب كان عن قُدْرة. ونحن لا نستطيع أن ننسى أن هذا العفو الشامل إنّما يصدر من الأخ الذي يصغر أخوته العشرة لأبيه الذين أساءُوا إليه، وأنّ هذا في حد ذاته درس نفسيٌّ قاسٍ أبلغ من كلِّ عقاب.

وليس هناك ما يمنعنا من الاستئناس برأي الجاحظ في سياسة الحزم . يقول : الجاحظ[1] "من لم يعمل بإقامة جزاء السّيّئة والحسنة، وقَتَلَ في موضع القتل، وأحيا في موضع الإحياء، وعفا في موضع العفو، وعاقب في موضع العقوبة، ومنع ساعة المنع،

وأعطى ساعة الإعطاء ، خالف الرّبّ في تدبيره وظنّ أنّ رحمته فوق رحمة ربه .

وقد قالوا .. بعض القتل إحياء للجميع ، وبعض العفو إغراء ، كما أن بعض المنع إعطاء.ولا خير في من كان خيره محضا، وشرٌّ منه ما كان شرّه صِرْفا . ولكن اخلط الوعد بالوعيد، والبشر بالعبوس،والإعطاء بالمنع، والحلم بالإيقاع ، فإنّ النّاس لا يهابون ولا يصلحون إلاّ على الثّواب والعقاب، والإطماع والإخافة ، ومن أخاف ولم يوقع وعُرِف بذلك كان كمن أطمع ولم ينجز وعُرِف بذلك . ومَنْ عُرِف دخل عليه بحسب ما عرف منه. فخير الخير ما كان ممزوجا . وشر الشر ما كان صِرْفًا. ولو كان الناس يصلحون على الخير وَحْدَهُ لكان الله عز وجل أَوْلَى بذلك الحكم . وفي إطباق جميع الملوك وجميع الأئمّة في جميع الأقطار وفي جميع الأعصار على

---

(١) مؤتمر تفسير سورة يوسف ١١٠٥/٢ للشّيخ عبدالله العلمي الغزّى الدّمشقي . دار الفكر دمشق الطّبعة الأولى ١٣٨١هـ ١٩٦١م .

استعمال المكروه والمحبوب دليل على أن الصّواب فيه دون غيره. وإذا كان النّاس إنمّا يصلحون على الشّدّة واللّين، وعلى العفو والانتقام ، وعلى البذل والمنع ، وعلى الخير والشّرّ ، عاد ذلك الشّرّ خيرا، وذلك المنع إعطاءً وذلك المكروه محبوبًا . وإنّما الشّأن في العواقب وفيما يدوم ولا ينقطع وفيما هو أدوم ومن الانقطاع أبعد" وهكذا يتضح لنا أن يوسف عليه السلام يمثّل الرجل الحصيف الواعي ، وأنّ لعفوه الذي جاء عن قُدْرَة طعما . وإنّا لنتذكّر بهذه المناسبة موقف مُحَمَّد بن عبدالله ﷺ حينما عفا بعد قدرة عن القرشيّين بعد فتح مكة عَنْوَة.

وإذا كان إخوة يوسف والقرشيون من الفئة التي يَأْسِرُها الإحسان . وقد ثبت ذلك من التّجربة مستقبلا ، فينبغي أن نعرف أن هناك فئات أخرى تسيء فهم الإحسان وتعتبره ضعفا . وهذه لها نوع معين من العلاج يصفه لنا مُحَمَّد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم في هذ الصنيع له عليه السلام كما جاء في السيرة النبوية عقب موقعة أحد ، وقد بلغه عليه الصلاة والسلام أن أبا سفيان يريد أن يَكِرَّ على المدينة المنورة مرّةً أخرى لاستئصال البقية الباقية من المسلمين ، فخرج عليه السلام إلى القوم حتى انتهى إلى حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال وأَخَذَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في جهة ذلك .. أبا عزة الجُمَحِيّ،

وكان رسول الله ﷺ أَسَرَهُ ببدرٍ ثم مَنَّ عليه فقال يا رسول الله أَقِلْنِي فقال رسول الله ﷺ والله لا تمسح عارضيك بمكة بعد هذا وتقول خدعت مُحَمَّدا مرّتين ، اضرب عنقه يا زبير فضرب عنقه[1] قال ابن هشام .. وبلغني عن سعيد بن المسيّب أنه قال.. قال له رسول الله "إنّ المؤمن لا يُلْدَغُ من حُجْرٍ مرّتين، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت فضرب عنقه[2]

وإنّا لنختم حديثنا بتلاوة آيات المشاهد الأخيرة من قصّة يوسف عليه السلام التي تعطينا صورة مشرّفة عن هذا النّبيّ الإنسان الرحيم البارّ بأبويه الشّكور لربّه ، قال الله تعالى ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٩) قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ (٩٠) قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩١) قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩٢) قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٣) اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٤) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ

---

(١) السّيرة النبوية ٢/٩٠ دار المعرفة بيروت الطّبعة الثّالثة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م .
(٢) السّيرة النّبويّة ٢/٩٠ .

أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ (٩٥) قَالُواْ تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ (٩٦) فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٩٨) قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ . قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٩) فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاءَ اللّهُ آمِنِينَ (١٠٠) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠١) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ(١٠٢) ﴾ .. **صدق الله العظيم وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله ربّ العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .**

الدكتور/ حسن مُحَمَّد باجودة
رئيس قسم اللغة العربية
ووكيل كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
بمكة المكرمة

الخاتمـــة

بِفَضْـــلٍ مـــن الله تعـــالى ونعمـــة ، تمّ في المحاضـــرة بعنـــوان : "الـدّروس المسـتفادة مـن شخصـيّة يوسـف عليـه السّـلام ، كمـا صـوّرتها سـورة يوسـف "تمّ ذكـر أهـمّ الـدّروس المسـتفاد . وهـذه الـدّروس زُبْـدَةُ الـدّروس المستفادة ، والّتي بيّنها كتابي : " الوحدة الموضـوعيّة في سـورة يوسـف عليـه السّـلام" واللهَ تعـالى أسـأل أن يتقبّل هذا العمل ، ويضع له القبول ، ويثيب عليه ، إنّه جوادٌ كريم .

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله ربّ العالمين .

فهرست الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدّمـة	٣
الدّروس المستفادة من شخصيّة يوسف عليه السّلام	٤
المرحلة الأولى : مرحلة الغلام المحبوب من والده	٥
المرحلة الثّانية : مرحلة اختبار الله تعالى بالابتلاء	١٩
القسم الأوّل : في بيت عزيز مصر	١٩
القسم الثّاني في السّجن	٣٣
المرحلة الثّالثة : مرحلة اختبار الله تعالى له بالنَّعْماء	٤٢
الخاتمة	٥١
فهرست الموضوعات	٥٢